# دور البطـــل في تشكيـــل الحضـــارة عنـــد نيتشـــه

أ . يوسف الهادي مصباح عون ــ كلية الآداب / الأصابعة ـ جامعة غـريـان

**الملخص Abstract :**

يتمحور هذا البحث حول مفهوم الحضارة وتشكيلها عند نيتشه ، ويهدف البحث إلى تتبع أفكار نيتشه وخاصة في مجال الأخلاق لبناء وتجهيز الإنسان الأعلى أو البطل ، ولقد تم اتباع المنهج التحليلي والمنهج النقدي في كشف أبرز المفردات الأساسية لفلسفة نيتشه ، ومدى اتفاق هذه الرؤية مع المنطق .

ينظر نيتشه إلى العبقرية على أنها الإنسان الذي يتجاوز بقوة إرادته وحكمته الواقع الذي يستسلم له جموع الناس ، وتقتصر العبقرية عند نيتشه على الرجل دون المرأة ، وهذا ما جعله محل انتقاد ، حيث إنه يخالف الطبيعة ، ذلك لأن للمرأة قدرات مماثلة للرجل ، إذا تم استثمارها بطريقة صحيحة .

ويشير نيتشه إلى أن الحضارة بأي معنى من معانيها تنشئها قلة من صفوة المجتمع تتميز بالطموح والوعي والرغبة الجادة في العمل المخلص لمصلحة الجموع الذين ينتمون إليهم ، وهذا ما يطلق عليهم البطل أو السوبرمان عند نيتشه .

وعلى الرغم من كل التناقض الذي حدث في هذه الفلسفة إلا أننا لا ننكر ولا يستطيع أحد أن ينكر الأثر الذي تركه نيتشه على الصعيدين الأوربي والألماني .

## المقـــدمة :

يعد فريد ريك نيتشه **Friedrich Nietzche ( 1844 - 1900 )** واحداً من أعظم الشخصيات المصيرية في الفلسفة ، وكانت فلسفته دائماً وما زالت مثار اهتمام المفكرين وموضوع اختلاف بينهم ، واستطاعت هذه الفلسفة أن تحتفظ بسحرها وجاذبيتها التي عرفت بها حتى اليوم ، وعلى الرغم مما وجه من نقد إلى فلسفته بصفة عامة إلا أن ذلك النقد لم يكن ليقلل من أهميته في تاريخ الفكر الإنساني حتى ، لقد ذهب كاوفمان إلى أن قلة من المفكرين في كل عصرهم الذين يستطيعون أن يؤثروا في الفكر مثلما يؤثر نيتشه ، إن فلسفته هي محاولة من جانبه ، وعلى طريقته الخاصة لتعرية القيم الأخلاقية التي آمن بها الإنسان منذ مئات السنين وكشف الزيف الذي تنطوي عليه .

فهي محاولة لإيجاد وصنع الإنسان الأعلى أو ( السوبرمان ) ذلك البطل الذي يطل على العالم ليغيره إلى الأفضل ، صحيح القول إن نتيشه لم يقل إن هذا الإنسان موجود بل إنه يرتجيه ويستطيع القلة من الناس أن تبلغ المنزلة عندما تنبذ الأديان العدمية التي تنفر من الحياة الأرضية وتنقل البشر من واقع الحياة إلى صور وأوهام العالم الآخر وتسلب منهم عناصر القول وتسبقهم في حال الضعف والمهانة والقلة ستبلغها عندما تعود إلى القيم التي سادت يوماً الأمم الشريفة التي أبدعت قيمتها ولم يتلقها من الخارج فليس للحياة من معنى إلا ما يعطيه لها الإنسان .

## إشكاليـــــة الدراســـة :

تتمحور حول مفهوم الحضارة وتشكيلها عند نيتشه والتي نحاول أن نجيب عنها من خلال التساؤلات التالية :

1 ـ البطل أو السوبرمان هل له وجود أو لا ؟
2 ـ ما أهم سمات وخصائص البطل الذي سيغير التاريخ ؟
3 ـ كيف تكون الحضارات وكيف تنمو وكيف تنحل عند نيتشه ؟
4 ـ ما دور العبقرية أو البطل في رسم وتشكيل هذه الحضارة ؟

## أهميـــــة الدراســـة :

محاولة لإظهار كيف استطاع هذا البطل الذي يرى نيتشه أن بمقدرته صنع الحضارة ، وهذا الجانب من الدراسة في فكر نيتشه لم يتطرق إليه أحد بالدراسة لصعوبة الكشف عن هذا الجانب في فكر نيتشه .

كما تتعرض الدراسة إلى مفهوم البطل وكيف تنمو الحضارة وعوامل انهيارها وهذا العمل يحتاج إلى الدراسة .

## أهـــداف البحـــث :

1 / إيضاح مفهوم البطل عند نيتشه وهل له مدلولات متعددة أم له مدلول واحد .
2 / بيان أهم السمات التي يتصف بها البطل في تغيير التاريخ .
3 / التطرق إلى دور العبقرية في تشكيل الحضارة الإنسانية .
4 / معرفة أسباب تكون الحضارة وأسباب انحلالها .

## منـــهج البحـــث :

المنهج الذي سوف نستخدمه في البحث هو المنهج التحليلي بالإضافة إلى المنهج النقدي وذلك لأن التحليل يظهر المفردات الأساسية لفلسفة نيتشه كما يساعدنا المنهج النقدي على كشف هذه المفردات ومدى اتفاق هذه الرؤية مع المنطق .

## المبحـــث الأول

### 1 ـ مفهوم البطل عند نيتشه :

لقد أخذ مفهوم العبقرية عند نيتشه مدلولات متعددة منها البطل الإنسان الأعلى أو السوبرمان أو الإنسان المتفوق .

### 2 ـ طبيعة الشخص العبقري :

إن العبقرية في نظر نيتشه هو الإنسان الذي يتجاوز بقوة إرادته وحكمته الواقع الذي تستسلم له جموع الناس (1) ، فهو الشخص الذي يأتي بأفعال قوى عليها سائر البشر ويدافع عن قيم ترفع من شأن الإنسانية .

ويعتقد فيلسوفنا أن هذا الإنسان الأسمى ( الأعلى ) من لحم ودم وهو إنسان جاء كنتاج للـــزواج الطبيعي بين رجـــل وامـــرأة وحرض على كل منهما وإصلاح كل من فسد من الطرف الآخر .

حيث إن أغلب الناس لا يريدون أن يسيروا في طريق الاندفاع و التفوق بل هم يفضلون التراجع بدلاً من التفوق ، لذلك فالإنسان العادي يعتبر أضحوكة بالنسبة للإنسان الأسمى .

ويتباهى فيلسوفنا أن عامة الناس دائمي النظر إلى فوق ، لأنهم تحت أما الإنسان الأسمى فهو دائم النظر إلى أسفل ، لأنه فوق ، ولا حاجة له بالنظر إلى أعلى لأنه لا يوجد ما هو أعلى منه كما شبه الإنسان بالشجرة التي تضرب بعروقها في الأرض وكلما تعمقت جذورها في القاع زادة اخضراراً تماماً كالإنسان كلما زاد إبداعه في الأرض ارتقى عند العامة وارتفع بأعماله ، والإنسان كلما طمع في العلوم زاد ابتعاده عن العامة ، فعلى الذين لا يستطيعون تسلق القمم أن يبدلوا جهدهم في التوصيل للقمم ، وعلينا نحن الراقين مساعدتهم حتى ندفعهم ، ونساعدهم في السقوط وكل من لا يستطيع تعلم الطيران علموه على الأقل أن يسقط بسرعة (2) .

**3 ـ الخصائص التي يتسم بها البطل :**

إن المتفوق " البطل " أسمى إنسان مأمول يتصف سلبياً وإيجابياً بمجموعة من الصفات ويمكن إجمال هذه الصفات في :

**أولاً ـ الإنسان المتفوق لم يظهر على أرضنا :**

بل هو إنسان مأمول : ليس زرادشت بالإنسان المتفوق بل سابقة ومعدة والتألق إلى أن يصيره : يل وحيد اليوم ، يا من تكون بالعزلة ، ستصبح يوماً شعباً ، ومن هذا الشعب سيولد المتفوق (3)

**ثانياً ـ ليس المتفوق نوعاً إنسانياً جديداً :**

ما كان يعرف نيتشه عن تاريخ التطور ومن تعدد الأنواع البشرية السابقة لنوعين ونعرفه اليوم ، فهو يحسب النوع البشري واحداً ، بل يحسبه ثابتاً لا ينعدم المتفوق فرداً أسمى ، أو الأفراد ، بدأ نوع بشري جديد يقول " الإنسان كنوع لا يتقدم ، تظهر نماذج فائقة ، ولكنها لا تبقى ومستوى النوع لا يسمو (4) .

**ثالثاً ـ ليس المتفوق محصوراً بعرق :**

نادت النازية بتفوق العرق الأرى وبالتالي يتفوق الشعب الألماني ، ويحق لهذا الشعب سيادة العالم وفي اللجوء إلى القوة والحرب لتحقيق ذلك الهدف وقد نسب إلى تأثير ما قالت به النازية ، وقامت به ، وكأنها تجسيد علمي لفلسفته والحال أن نيتشه غير مسؤول عن نشأة النازية ، وعن كل أرائها وأعمالها .

**رابعاً ـ المتفوق غاية وهدف البشرية وحلمها البعيد :**

الوجود في صيرورة وكذلك الحياة والهدف ليس النوع البشري بل أفراد منهم المتفوقون .

يستجود المتفوق إنساناً " الإنسان الأخير " قدر ما يجوز إنساناً القرد " ما القرد في نظر الإنسان ؟ إنه لسخرية وعار مؤلم وكذلك أن يكون الإنسان في نظر المتفوق " .

وإنساننا هو الطريق إلى المتفوق في حبل مشدود فوق هاوية بين الحيوان والمتفوق ، وعليه أن يعبر الهاوية ليصبح المتفوق قد أريد أن أعلم الناس ما معنى وجودهم أنه المتفوق البرق الساطع من الغيم (5) .

**تعقيـــــب :**

مما سبق يقول نيتشه عن العبقرية أو الإنسان الأعلى البطل ، وعلى فلاسفة قبل سقراط أنهم أبطال ، وتارة يقول عباقرة ، وتارة يكونون أمثال الإنسان الأعلى الذي يبشر به عندما قال أنا المبشر بالبرق .

كما أنه يجلي من قدر الإنسان الأعلى ، ويفرق بينه وبين العامة من الشعب نظراً لما يتمتع به من مزايا لم تكن بالفعل موجودة فيهم وليس هذا فقط بل يدعوهم إلى العمل على الرقي والصعود إلى مستواهم .

كمـــا نجـــده يكره العامـــة لأنهـــا لا تتسم بالعبقرية وتخضع لما يسمونه خضوعهم لفكر ( الله ) ، ومن هنا نراه يصب جم غضبه على المسيحية وينتقدها انتقاداً شديداً .

وأكد على فكرة إرادة القوة تلك الفكرة التي تعد من أسس القوية لفلسفة هذا الرجل ، الذي أهتم بالعبقرية والبطل أو السوبرمان ، وجعله مشيداً لهذه الحضارة هادماً لكل حضارة وقيم بالية موروثة .

كذلك نجد نيتشه يحشد طاقته الفكرية ، ويفرح زناد فكره ليعطينا الطريق لإخراج هذا النموذج من حيث الميلاد والتربية والدراسة والتي يعتبرها الخطوات الأولى لبناء هذا البطل ، والذي نعده لبناء الحضارة الإنسانية أو تغيير مصير هذه الحضارة إلى الأفضل .

إن من أهم صفات البطل عند نيتشه أنه شخص يقدس الحرب والخطر ، ويبغض السلم والشفقة ويتحمل المسؤولية والآلام في الصمت ، ويؤمن بالعود الأبدي له الخلود ، وكذلك لا يؤمن بدين سوى الشجاعة .

ولا تتفق مع نيتشه في قصره العبقرية على الرجل دون المرأة وذلك لأن هذا يخالف الطبيعة حيث إن للمرأة نفس قدرات الرجل إذا تم استثمارها بطريقة صائبة استطعنا إخراج نموذج أمثل للعبقرية ويذكر التاريخ القديم والحديث والمعاصر عديداً من الشخصيات الإنسانية ، والتي كان لها دور في تشكيل التاريخ ذاته .

وبعد الحديث عن العبقرية ومفهومها البطل أو الإنسان الأعلى وهل هما اثنان أو شخص واحد ؟ وأهم خصائص البطل ، وكيف يتم الإعداد لهذا البطل وأخلاقه التي يتسم بها والتي يدعو إليها نيتشه ؟ يدور التساؤل كيف تدور الحضارات عند نيتشه ؟

وما هي عوامل تقدمها ؟ وما هي العلل والأسباب التي تساعد على انهيارها ؟ وما دور البطل في ذلك ؟ وما هو المجتمع الأمثل عند فيلسوفنا نيتشه ؟ .

## المبحث الثـــاني
## دور البطل في تشكيـــل الحضـــارة

**تمهيـــد :**

إن الحضارة بأي معنى من معانيها لا يشترك في إنشائها أفراد المجتمع جميعاً وإنما تنشئها قلة من صفوتهم تتميز بالطموح والوعي والشعور بالمسؤولية والرغبة الجادة في العمل المخلص لمصلحة الجموع الذين ينتمون إليه .

**أولاً ـ كيف تتكون الحضـــارة ؟**

يعتقد نيتشه من خلال كتابته عن الإنسان الأعلى " السوبرمان " أو البطل وإرادة القوة ـ أن العبقرية الإنسانية هي وحدها صانعة الحضارة ، وأنه إذا انتهى تاريخ بعض الحضارات فإنه لن يبقى من آثارها غير أعمال هذه العبقريات في مجال الفكر والفن .

فهؤلاء العباقرة هم الذين يحفظون أي حضارة وعلى الأخص حضاراتهم التي نشأوا فيها وأبدعوا داخل نطاقها من الزوال ، ويكتبوا لها الخلود على صفحات التاريخ الخالد كما فعل ذلك الفلاسفة وعباقرة اليونان .

ومن ثم يكون فيلسوف بحثنا قد أرجع صنع الحضارة أو مسؤولية صنع الحضارة للعبقرية التي تعمل على قيادة جموع البشر والرقي بهم ، وبمستواهم إلى مستوى الحضارة ، وهنا لابد أن نوضح حتى لا يحدث التباس أن العبقرية والبطل الإنسان الأعلى معان تكاد تكون واحدة وهي كلها مسميات للذين يقدمون أو يعملون على إنشاء الحضارة ، وكذلك قيادة الشعب للوصول به إلى شاطئ الحضارة .

ينوه نيتشه إلى أن الناس ليسوا متساوين " يا إخوتي إن الناس ليسوا سواسية " بهذا ينطبق هذا العمل الخالد (6) .

فعدل السماء يقول إن الناس ليسوا متساوين هو الواقع فهناك السيد ، وهناك العبد وهناك التابع ، وهناك التابع المتبوع وبهذا يكون العباقرة هم صناع الحضارة ، ونجده يضع على رأس هؤلاء الأبطال الفلاسفة ، لأنهم يجعلون الفلسفة في خدمة الحضارة .

ونجد أنه من شدة اهتمامه بالفلاسفة كصناع الحضارة أو كعباقرة أسهموا في دعم مسيرة الحضارة ، نجده يتساءل في بحث له بعنوان " الفيلسوف طبيب الحضارة "

عن دور الفيلسوف في الحضارة ؟ ويجيب على هذا التساؤل بثلاثة افتراضات **الافتراض الأول :** أن يعيش في برج عاجي منعزلاً عن الحضارة وأمته ، ومن ثم نجده في هذا الافتراض لا يؤثر الفيلسوف في عصره مباشرة ولكن أعماله قد تصبح ذات نفع عظيم للأجيال القادمة .

**الافتراض الثاني :** يرى أن يكون معلماً للصفوة من العلماء والمفكرين .

**الافتراض الثالث :** هو أن يكون عدواً للحضارة القومية وداعياً إلى حضارة جديدة (7) ، وعندما يكون معلماً للصفوة والعلماء سوف يكون على ارتباط وثيق بالمجتمع الذي نشأ فيه وبذلك مقولة الفيلسوف وليد عصره أو أبناء عصره لأنه سوف يعلم الصفوة علماً يعمل على حل مشكلات العصر التي تواجههم وتواجه بلادهم مثلما فعل ذلك كثيراً من الفلاسفة مثل سقراط في الفكر اليوناني وكانوا في العصر الحديث ورسل في العصر المعاصر .

كذلك يعتقد أن مهمة الفلسفة تتمثل في هدم الواقع الحضاري تمهيداً لقيام حضارة جديدة ، ومن ثم يذكر أن عصور الانحلال والتدهور هي أدعى إلى ظهور المفكرين والفلاسفة منها إلى عصور الانهيار لأنه في الانحلال يحاول المفكرون أن يصنعوا حلولاً ، وبهذا يكون الفيلسوف عدواً لحضارة ما ومحباً لأخرى ويجب أن نلفت إلى نقطة مهمة ألا وهي أن نيتشه يؤكد أن دور العبقرية على مبدأ مهم ألا وهو ارتباطه ارتباطاً وثيقاً بطبيعة الشعوب والأجناس البشرية ، وكل جنس سيكون له عبقريته الفذة وإن كانت بعض الشعوب تعلو في نظره على شعوب أخرى ، وبعض العبقريات تتفوق على الأخرى وكما ذكرنا من قبل أنه كان شديد الإعجاب والتقدير للعبقرية الإغريقية لقد جعل نيتشه البطل هو المتصرف في كل شيء وجعله الأساس في تحريك عجلة الحضارة على صفحات التاريخ ومن ثم تقوم الحضارة على كاهل هؤلاء العظماء الذين يقومون بكسر الجمود وكبح جماح الخيال الأسطوري وتهذيب الغريزة العرفية لدى الشعوب (8)

لأن هذه العبقرية أو البطل يعمل على هدم كل القيم الحضارية الموجودة واستبدالها بقيم تتماشى مع منطق الحضارة الجديدة التي تعمل جاهداً على تشكيلها ، ولكن هذه القيم الجديدة التي ترفضها العبقرية يخضع لها العالم كل عبقرية تحكم ذاتها بهذه القيم وبقوة الإدارة قبل أن تحكم العالم ومن ثم فتكون مهمة العبقرية هي العمل على تهذيب الغريزة النظرية وقيادة الجموع أو الشعب إلى ما فيه صلاحهم من هنا يستطيع القول

بأن الحضارة لقوم وتتكون عند فيلسوفنا عن طريق العبقرية هي العمل على الذين هم بالفعل يعملون على تنمية هذه الحضارة بكل ما يبتكرون وكل ما يبدعون وتكون كذلك الأعمال العظيمة التي تركها العظماء هي وحدها التي تفسح الطريق للتقدم أمام الحضارات الإنسانية ولكن نظريته هذه التي يعترف للبطل بكل شيء في قيام الحضارة ويترك الشعب أي لا يعترف بأي تأثير سوى الانصياع لأوامر البطل هذا الذي يعمل على هدم القيم الموجودة في الحاضرة وإقامة قيم جديدة هو المسؤول عنها ، نجد أنه قد وجهت لهذه النظرية انتقادات عدة منها أنه يرى من أهم ما يقول به البطل وبدايات الحضارات تكمن في هدم القيم الموجودة وإعدام هذه القيم بداية لمستقبل جديد ، لكن السؤال الذي يتردد دائماً كيف ننفي أن في انتقاء الحاضر هدم المستقبل ؟

كذلك نجد أنه في نشأة وقيام الحضارة يقدس البطل ويعتبره بمثابة نبي أي أنه يكون معصوماً من الخطأ ، وعلى هذا لو أخطأ هذا البطل فلا يحق لهذا الشعب الذي لا حول له أن يراجعه ، لأنه يكره الديمقراطية التي تعمل على عدم ظهور عباقرة عدة مع هذا يؤكد نيتشه دائماً على أن البطل هو المسير للتاريخ والميسر لأغواره وله اليد العليا في أحداث وازدهار الحضارة .

**ثانياً ـ كيف تنحل وتتدهور الحضارة عند نيتشه ؟**

اختلفت وتعددت المسببات التي تؤدي إلى انهيار الحضارة بين فلاسفة الحضارة وقد أفاض نيتشه في الحديث عن الانحطاط والانحلال الذي آلت إليه الحضارة الغربية لجميع الحضارات فنجده يقول في هذا الصدد طابع الانحلال والمرض البائس علامات على قدرة للروح وقوة لم تجرب بعد ، وأن الأسباب التي تجعل صغار الناس حقراء هي عينها التي تدفع بالقادرين الأقوياء إلى العظمة والارتقاء (9) .

في هذه العبارة بيّن لنا نيتشه أن الانحلال في كل شيء حديث ؛ لأنه عبارة عن شرح للسابق عليه وبارز في حديث هذا الإنسان منابع لم يشرف عليها أشخاص مثله عباقرة ولم يعملوا على تربيته بالأسس التي وضعها لكي تخرج إنساناً أعلى وقوي ، ولكن على الرغم من كل هذا التحامل على العصر الحديث إلا أنه يقول هناك علامات قدرة للروح والقوة لم تظهر بعد ، إن هناك أسباباً تخلق العظمة والعظماء ومن ثم نجده يعمل على بث روح التفاؤل في هذا الإنسان الذي رأى فيه الانحلال يأجله معانيه (10) لكن ما هو الانحلال الذي يتحدث عنه فيلسوفنا .

نجد مقصود الانحلال يكمن في أنه أصبحت القيم العليا لم تعد قيماً بعد ، وأن الناس أعوزتهم الغاية من الوجود وأحوجتهم إلى الجواب على متوالهم لأنفسهم لماذا يحيون ويوجدون؟ فيقول " فمياه الدين تنحسر وتترك من ورائها المستنقعات والأمم تتباعد عن بعضها البعض ويسود بينها الشقـاق والعداوة والعلوم وتصبح أشتاتاً وتقضي على أشد ما آمن به الناس واعتقدوه قوة ورسوخاً ، نعم إن هناك قوى هائلة ما زالت موجودة لكنها بدائية ، ليس فيها رحمة ولا أثر من رحمة ، ويكاد كل شيء الآن على ظهر الأرض تسيره أشد القوى شراً وفظاعة وتسيره الأثرة الراسخة في نفوس المالكين وأصحاب السيادة الحربية (11) .

من خلال هذه السطور يبدو تحامل نيتشه على العصر الذي عاش فيه ويراه من مظاهر يعتبرها مظاهر انحلال فنجده عن الدين على الرغم من أنه من أشد الذين انتقدوا الدين إلا أنـــه يرى الانحلال ظاهرة فيه ، كذلك نجد نيتشه الذي اختلف فيه أهو من دعاة القومية أم العالمية ؟ فنجده يذكر أن عوامل هذا الانحلال تباعد الأمم عن بعضها البعض .

وعلى الرغم من الحديث الراعي إلى القومية نجد أنه كان يدعو إلى حضارة الألمان وهذا واضح بالفعل من خلال مدينة عن الحضارة اليونانية تلك الحضارة التي أثارت شقاقاً فقد عمل على جعل الحضارة الألمانية كامتداد الحضارة اليونانية لما رآه في هذه الحضارة من ثراء روحي عظيم ولكن هنـــاك من يـــرى أنه كان يريد الحضارة عالمية أو حضارة كلية فنجد في قوله ، والأمم تباعد عن بعضها البعض ويسود بينها الشقاق والعداوة فالحديث عن الانحـــلال شيء يحزنه كذلك .

وضع في قوله أيها المتفرقون اليوم ستلتئمون في الشعب ، اليوم فرادى ومنكم يا من اصطنعتم أنفسكم سينهض شعب مختار يقوم من رجل أسمى (12) .

كذلك رأى من عوامل الانحلال الآلة لأنها لا تعمل على السمو بالإنسان والارتقاء به ولكن تعمل على الكسل وتفقد الإنسان كل استقلاله الذاتي وتجعله مثلها .

ومن العوامل ـ أيضاً ـ المساعدة على الانحلال السيطرة والدهماء ونفوذهم المتزايد ، فهو يرى أن الروح الشعبية التي أصبحت تخضع كل شيء لمعاييرها وتريد أن تنزل بكل العظماء الممتازين إلى مستواها هي موضوع الحظر الأكبر في هذا العصر كذلك في ميدان الاقتصاد ظهرت اقتصاديات المنفعة التي انعكست على إيمان

المجتمع بالقيم السوقية ، كذلك انتشرت في التعليم الضحالة والذي عمل على إخراج موظفين متخصصين على قدر من السطحية (13) .

كما نجد أن نيتشه أكد على أن من عوامل الانحلال انتشار الحكم الديمقراطي وفقدان السلطة المنظمة وظهور نوع من الزعماء المنافقين المتخصصين في تملق الجماهير وعبادة الدولة (14) .

حيث يقول : " في كل شعب من الشعوب فئة من أفضل الرجال وأحكمهم وأذكاهم وأشخصهم وفي وسعنا أن نجدهم ونتوجهم ملوكاً علينا " .

فهو يرى أن الحكم الديمقراطي يساعد على عدم ظهور عبقريات خلاقة أو الأبطال الذين يعملون على إنتاج وضع الحضارة لذلك فهو يرى كما كان فلاسفة اليونان يرون أن الحكم الارستقراطي أفضل من الديمقراطي الذي يعمل على قتل روح العبقرية ومن ثم أن انحلال الحضارة الذي ظهر لنا في كل جوانبها يرجع إلى عدم وجود قدرة خلاقة أو أبطال عباقرة يقودون مسيرة الحضارة .

**ثالثاً ـ المجتمـــع الأفضـل عنـد نيتشـــه :**

يذهب نيتشه إلى أن المجتمع الأمثل لا يتجسد في المجتمع القائم على أساس من الديمقراطية ، تعبر عن سخافة حكم الأكثر والعدد ، ولذلك يجب القضاء عليها ، وأول خطوة لتحقيق ذلك هو تحطيم المسيحية .

ويذهب نيتشه إلى الديمقراطية ويقول في معناها : بأنها انحراف ومعناها أن يسمح لكل جزء من الإنسان بالأخلاق في المسيرات والرغبات ، ومعناها عبادة أوساط الناس وقت التفوق والنبوغ ، ومعناها استحالة ظهور الرجال العظماء ، ويتساءل كيف يمكن لأعظم الرجال الإذعان إلى غش وأكاذيب الانتخابات وأية فرصة تقدمها الانتخابات لأعظم الرجال ؟ .

يوضح نيتشه أن الشعب يكره صاحب الروح الحرة عدو القيود ، الذي لا ينتمي إلى حزب من الأحزاب ، فكيف يمكن وقف ما يرى أن يترعرع الإنسان الأعلى في مثل هذه الرتبة ، وكيف يمكن لأمة بلوغ العظمة إذا لم نجد عظماءها ؟ إن مثل هذه الأمة سرعان ما تفقد أخلاقها بتمجيدها أكثر الأصوات في الانتخابات بدلاً من الموهوب المتفوق النابغ .

ويقول نيتشه إن في الديمقراطية عيوباً وهي : مساواة المرأة بالرجل في الحقوق الأمر الذي ترتب عليه استخفاف المرأة بالرجل مطالبين بالمساواة والتراتيب بالرجل ولقد فقدت المرأة قوتها ونفوذها بعد أن تم لها التحرر .

إن المساواة بين الرجل والمرأة أمر مستحيل لأن بينهما حرباً أبدية ، ولن يتحقق السلام بينهما إلا بانتصار أحدهما وفرض سياسة على الآخر ومن الخطر مساواة الرجل بالمرأة ، لأنها لن تسعد بذلك وتؤثر الخضوع التام للرجل ، هذا إذا كان الرجل رجلاً ، لأن سعادتها وكمالها في الأمومة فالرجل بالنسبة للمرأة وسيلة والغاية هي الطفل دائماً .

أما المرأة فهي لعبة خطيرة فيجب إعداد الرجال للحرب ، والنساء للترفيه عن المحاربين (15) .

ويذهب نيتشه إلى القول بأن السلبية الثانية في الديمقراطية تتمثل في مناداتها بالمساواة والاشتراكية والفوضى فيقرر أن طبيعة الإنسان تأتي على المساواة ، وأولئك الذين يدعون لها يكونوا جبابرة طغاة ، إن طبيعة اختلاف الأفراد أو الطبقات والأنواع ، وكما أن الاشتراكية المترتبة على الديمقراطية وفق ما يرى تتنافى مع الأسس البيولوجية لأن عملية التطور تقتضي انتفاع الأقوياء بالضعفاء ، وأن الحياة استغلال . (16)

ويؤكد نيتشه على أنه مهما يكن من أمر العبيد ، فإنهم خير من البرجوازيين سادة العصر الحديث ، ويذهب إلى أنه من علامة انحطاط ثقافة القرن التاسع عشر أن يكون رجل المال موضع هذا التقديس والتعظيم والحسد ويوضح أن أفراد هذه الطبقة من رجال الأعمال عبيد أيضاً فهم عبيد العمل الآلي الرتيب وضحايا العمل ، وليس لديهم الوقت للاطلاع على آراء جديدة ، والتفكير عندهم حرام ، كما أن متعة ولذة التفكير فوق متناولهم جميعاً ووراء بلوغهم إن نيتشه يرفض كلاً من الديمقراطية والاشتراكية والبرجوازية ويؤثر الارستقراطية التي تقوم على أساس من نبله الأصيل والتعليم ويبالغ نيتشه في رفضه لحكم البرجوازية القائم على أساس من المال إلى الحد الذي حدا به إلى القول بوجوب أن تعمل السياسة على إبعاد رجال الأعمال عن الحكم ، لأن رجل الأعمال ينقصه بعد النظر واتساع المدى المستقر من الارستقراطية ، لأن ارفع الرجال يهم حق مقدس في الحكم وهو حق المقدرة

السامية ، وللرجل العادي مكانة ، وليس مكانـــة العرش طبعاً ، والرجل العامي سعيــد في مكانه وخصائله ضرورية للمجتمع كفضائل الزعيم (17) .

إن المدينة السامية كالهرم لا تستقر إلا على قاعدة فسيحة ضرورية من الطبقة الوسطى القوية السلمية المتماسكة ، وإن وجد الناس فإن بعضهم خلقوا قادة للبعض الآخر تبعاً ، وسترضخ الأكثرية وتشعر بالسعادة في العمل تحت إشراف هؤلاء الزعماء الأقوياء وترجيحهم العقلي .

إن رفض نيتشه للمجتمعات بصورها السابقة يقودنا إلى التساؤل عن ماهية المجتمع الأمثل عنده ؟ .

ويجيب نيتشه على التساؤل موضحاً أن المجتمع المثالي يقسم إلى ثلاث طبقات :

1 ـ طبقة المنتجين وتشمل المزارعين والعمال ورجال الأعمال .
2 ـ طبقة الموظفين .
3 ـ طبقة الحكـــام .

وللحكام أن يديروا سياسة الدولة بأن يكونوا ساسة وفلاسفة لا موظفين ؛ لأن عمل الموظف عمل خطيــر لا يتنــاسب مع الحكــام ، إن سلطــة الحكام وفق ما يرى تكمن في السيطرة على الجيش ، والمال ولكنهم يعيشون كالجند ورجال المال ، يجب أن يكونوا ذوي شجاعة وقوة بأس وثقافة وأن يمزجوا بين العلم والقيادة وأن تربطهم الأخلاق والصداقة المتينة .

ويوضح نيتشه أن سلطة هذه الطبقة الحاكمة سلطة وراثية ويجب ألا تمتزج بدماء جديدة إلا في أضيق الحدود ، إن أكثر الأمور التي تؤدي إلى فساد الارستقراطية هو تلويث دمها بالزواج من الأغنياء العوام (18) .

هكذا يتضح لنا أن نيتشه رأى الغاية الأساسية لوجود المجتمع هو إبداع الإنسان الأعلى ، وأن المجتمع الذي يتسنى فيه وجود هذا الإنسان الأعلى هو ما يستند إلى الارستقراطية (19) .

## الخـــاتمـــة

وفي ختام هذا البحث يلاحظ نيتشه أن يرفع دور العبقري والبطل إلى درجة شاهقة جداً نحن لا ننكر بل نؤكد معه دور العبقري أو البطل في صناعة وتشكيل الحضارة ،

ولكن ليس إلى الحد الذي يجعله يلغي دور الشعب الذى هو بدوره أساس الاجتماع وهو الذي أخرج هذا البطل ، فبكل بساطة إن لم يكن هناك مجتمع فكيف سيمارس هذا البطل بطولته ؟ وكيف يصبح زعيماً عليهم ، وكذلك فهو يعلي من شأن هذا البطل مهما كان ، ونحن نعلم أن كثيراً من البلاد وبلده أو دولته هو نفسه قد عانت من ويلات الزعماء مثل هتلر ، ونابليون ، وهذا بالفعل على زيادة النقد لهذه النظرية .

كذلك نجده يعلي من شأن هذا البطل إلى حد يجعله إلهاً أو نبياً ، وبالرغم من كل هذا فنرى أن بطله هذا رجل من الشعب شخص من نوع البشر كذلك من أهم ما يوجه له انتقاده للدين فنراه لا يعزي للدين أي دور في الرقي بالحضارة والمجتمع ويوجه أعنف انتقاد للدين والمتدينين وليس هنا فقط بل يتهمهم بأنهم السبب في إخفاء الحضارة وكل النقيض من هذا نجد أن أكبر فلاسفة التاريخ والحضارة يؤكدون دور الدين في بناء الحضارة .

كذلك حديثة عن نقد وإزالة كل القيم السائدة في المجتمع تلك القيم التي تستغرق في بنائها مئات السنين بل تكاد تكون عمر الإنسانية يأتي هذا الرجل ويحاول إزالتها بكل بساطة وليس إزالتها فقط بل يدعى بأنه سيتم صنع قيم جديدة ، ونصب نفسه مقيماً للمجتمع ومشرعاً للإنسانية كيف ونحن نعلم أن هذه القيم سواء الحسنة أو السيئة تأخذ آلاف السنين لكي ترسخ في أذهاننا حقاً لم يكذب ياسبرز حين قال سوف يأتي اليوم الذي يجعل فيه نيتشه الإنسان يسير على يديه .

كذلك نجد أنه نادى بالقوة إلى أبعد الحدود ولو سارت الإنسانية على نهجه سوف تصبح دماراً شاملاً وهلاكاً لأن تمجيد الحرب تلك تبيد صنف الإنسانية من خلال ما لها من آثار سلبية على الأمم والشعوب ، وتحدث عنها فلاسفة التاريخ والحضارة وعلى آثارها السلبية .

ولكن على الرغم من كل التناقض الذي شاع في هذه الفلسفة إلا أننا لا ننكر ولا يستطيع أحد أن ينكر الأثر الذي تركه هذا الرجل سواء على الصعيد الأوربي عامة أو الصعيد الألماني خاصة ، ذلك **الرجل** الذي فكر تفكير الأدباء وحشر بجدارة في زمرة الفلاسفة ، وهو كذلك لم يدع

أحداً إلى اعتناق فكره ونحن لا ننسى ولا نستطيع أن ننسى التفكير الفلسفي بأنه كافٍ في أن يعطي وجهة عامة للسلوك وبعد ذلك يجب أن يترك إلى بديهية كل امرئ الحل الخاص الذي يختاره لكل حالة تُعرض له .

**الهـــــوامش :**

1 / نازلي ، إسماعيل ، حسين ، 1982 م ، الفلسفة المعاصرة ، المكتبة القومية ، ص 112 .
2 / نيتشــه ، 1979 م ، هكذا تكلم زرادشت ، ترجمة ، فليكس فارس ، منشورات المكتب العالمي ، بيروت ، ص 35 .
3 / يوحنا ، قمير ، 1980 م، نيتشه نبي المتفوق ، دار المشرق ، بيروت ، ص 32 .
4 / يوحنا ، قمير ، 1980 م ، مرجع سابق ، ص 32 - 33 .
5 / يوحنا ، قمير ، 1980م ، مرجع سابق ، ص 35 .
6 / نازلي ، إسماعيل ، حسين ، 1982 م ، الفلسفة المعاصرة ، مرجع سابق ، ص 111 .
7 / هنري ، توماس ، وآخرون ، 1977 م ، أعلام الفكر الأوربي من سقراط إلى سارتر ، ت ، عثمان نويه ، دار الهلال ، القاهرة ، ص 111 .
8 / توفيق ، الطويل ، 1999 م ، الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ص 11 .
9 / نازلي ، إسماعيل ، 1982 م ، الفلسفة المعاصرة ، مرجع سابق ، ص 117 .
10 / عبد الرحمن ، بدوي ، 1975 م ، نيتشه ، خلاصة الفكر الأوربي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ص 254 .
11 / عبد الرحمن ، بدوي ، 1975 م ، نيتشه ، مرجع سابق ، ص 255 .
12 / هنري ، توماس ، وآخرون ، 1977 م ، أعلام الفكر الأوربي من سقراط إلى سارتر ، مرجع سابق ، ص 112 .
13 / أحمد ، حمدي ، محمود ، 1977 م ، الحضارة ، دار المعارف ، القاهرة ، ص 50 .
14 / المرجع نفسه ، ص 59 .
15 / المرجع نفسه ، ص 124 .
16 / المرجع نفسه ، ص 125 .
17 / المرجع نفسه ، ص 127 .
18 / المرجع نفسه ، ص 128 .
19 / أحمد ، حمدي ، محمود ، 1977 م ، مرجع سابق ، ص 129 .
* فيسلوف ألماني معاصر عُرف بنبي فلسفة القوة ولد في 1844 في ريكن وهي مقاطعة بروسية وكانت عائلة نيتشيه معظمها من رجال الدين ، فكان أبوه قسيس كبير وجده كذلك وكانت أمة مقدمة بالتقوى ومجمل القول كان الدين يلعب دوراً أساسياً في طفولة نيتشه أي نشأ دينية ولكنه انتقل على هذا البيئة فأصبح شديد الإلحاد ، بل وجعل الإلحاد محور كتاباته ،أحب شوبنهار لتشاؤمه لكنه انقلب عليه واعتنق الحياة ومع ذلك ظل التشاؤم يلازمه حتى أورده الجنون في الخامسة والأربعون ، ولقد تأثر نتيشه بثلاثة شوبنهار ، ورتشارد فاجنر وكتاب لانج " تاريخ المادية " وقال : " بعد هؤلاء لست في حاجة إلى شيء " ومن أهم كتاباته " هكذا تكلم زرادشت 1891وما وراء الخير والشر 1886 ، وأصل الأخلاق 1887 ويعتبر كتاب هكذا تكلم زرادشت من عيون الأدب العالمي وأبلغ ما كتب في مجال الفلسفة .